مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤-١٦؛ ٥: ١-٦)

يا إخوةُ، اذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ اللهِ، فَلْنَتمسَّكْ بالإعترافِ* لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيرُ قادرٍ أن يرثيَ لأَوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئَةَ* فلنُقبِلْ اذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننالَ رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أَوانِها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٍ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه أن يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعبِ* وليسَ أحدٌ يأخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ اللّهُ كما دَعا هرون* كذلكَ

الحركات الجسديّة في العبادة

تزخر حياتنا الكنسيّة بالحركات الجسديّة التي نعتمدها للتعبير عن عبادتنا لله وتمجيده وتوقير والدته وقديسيه، كالسجود والإنحناء ورسم إشارة الصليب، بالإضافة إلى المسيرات (أي الزيّاحات) داخل الكنيسة وخارجها. هذه الحركات الجسديّة ليست جديدة في حياة الإنسان المسيحي، لكنّ جذورها تمتدّ عبر التاريخ. فقد اعتمدت الشعوب في عبادتها على حركات تعدّدت أشكالها بتعدّد الحضارات. إلاّ أنّ ذلك لم يقتصر على العبادة، بل كان من صميم حياة الإنسان اليوميّة.

في الحياة اليوميّة نستخدم الحركات الجسديّة الخارجيّة للتعبير عن مشاعرنا الداخليّة، إلى حدٍّ لا يمكن العيش من دونها. فالإنسان بحاجة للتعبير عمّا يخالج نفسه. فإذا كان فرحاً عبّر بالبسمة مثلاً، وإذا كان حزيناً قطّب وجهه، وإذا كان مغتبطاً رقص، وإذا كان متألّماً بكى. أمّا إذا أراد أن يُعبّر عن مشاعره تجاه الآخرين فيستخدم طُرقاً أخرى، فعندما يلتقي بشخص يكنّ له مودّة يسلّم عليه بحرارة بواسطة المصافحة، وإذا أراد أن يعبّر عن احترامه لشخص ما انحنى له إنحناءة خفرة، وإذا أراد أن يستغفر أحداً وضع يديه على صدره وانحنى له، وإلى ما هنالك من حركات تختلف بين شعب وآخر وبين حقبة تاريخيّة وأخرى.

العدد ٢٠١٣/١٤

الأحد ٧ نيسان

الأحد الثالث من الصوم

أحد الصليب الكريم

تذكار الشهيد كليوبيوس

والبار جرجس

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الحادي عشر

كانت الحركات الجسديّة أيضاً عنصراً أساسيًّا في العبادة عند الشعوب القديمة واستمرّت إلى أيّامنا الحاضرة، ولو بتفاوت في الأهميّة بين ديانة وأخرى. فقد اعتمدت بعض الشعوب مثلاً على الرقص، والبعض الآخر على ضرب الصدر، وآخرون على تمثيل بعض الأحداث التي ترتبط بالميثولوجيا. وبعض الشعوب اعتمدت في طقوس الدخول إليها على الاغتسال مثلاً، وعلى الدخول إلى غرفة ما بوضع الرجل اليسرى قبل

المسيحُ لم يُمجّدْ نفسَهُ ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بَل الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رِتبَةِ مَلكيصادَق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ من أراد أن يتبَعَني فليكفُرْ بنفسِهِ ويحمِلْ صليبَهُ ويتبعْني لأنَّ مَن أراد أن يخلِّصَ نفسَهُ يُهلكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصُها* فإنَّهُ ماذا ينتفِعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الانسانُ فِداءً عن نفسِهِ* لانَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوَّةٍ.

اليمنى أو بالعكس، وغير ذلك من الحركات. أما ما هو مشترك بين العبادات جميعها فهو السجود أو الإنحناء أمام الإله.

هذه هي الحال أيضاً في كنيستنا الأرثوذكسية المقدّسة، فالحركات الجسديّة جزء لا يتجزّأ من العبادة. هناك السجدات، الصغيرة منها والكبيرة، وإشارة الصليب وتقبيل الأيقونات والإنحناءات والمصافحة الأخوية والزياحات وإلى ما هنالك من حركات. لكنّ الكنيسة ميّزت بين ما هو مختصّ بعبادة الله وما هو مختصّ بإكرام القديسين، كما شدّدت على أنّ السجود للصليب والأيقونات ليس عبادةً للأصنام، إذ إنّ السجود يجوز للربّ يسوع الذي صُلب على الصليب ولأصحاب الأيقونات أكان الرب يسوع (سجود عبادي) أو والدته وقدّيسيه (سجود إكرامي). ونظّمت أيضاً هذه الحركات في العبادة، فالسجدات مثلاً محدّدة في الشكل (كبيرة أو صغيرة) والعدد، حتى يكون هناك ترتيب.

لقد أشرنا إلى أن الإنسان يعبّر بواسطة الحركات الخارجيّة عمّا يجول في داخله، وهذا ما يحصل تماماً في عبادتنا الكنسيّة، حتى أن الكنيسة أطلقت على السجدات مثلاً تسمية «توبة» (باللغة اليونانية «metanoia»). فالإنسان المسيحي بسجوده أمام الله يظهر خضوعاً كليًّا لله واعترافاً بأنّه هو السيد على حياته، لا بل السيّد الوحيد، وانطلاقاً من ذلك يغيّر ذهنه (وهذا هو معنى الكلمة اليونانيّة التي تُطلق على السجدة)، وينظر إلى الأمور من منظار سيّده وربّه لا من منظار أنانيّته وحبّه لذاته. كما أنّ إشارة الصليب ترتبط أساساً بالتمجيد لله، وهذا تعبير إيماني إذ إنّ الرب يسوع تمجّد على الصليب. بهذه الإشارة يبارك الكاهن الشعب وبها أيضاً يتقبّل المؤمن البركة المعطاة له. أضف إلى أنّ قبلة المحبّة، التي ما زالت تمارس في القداس الإلهي بين الإكليروس، تُعبّر عن رباط المحبّة الذي محوره يسوع، إذ يقول الواحد للآخر «المسيح معنا وفي ما بيننا» ويجيبه الآخر «كان وكائن ويكون»، مقبّلين بعضهم البعض، ومؤكّدين في الوقت نفسه على أبديّة رباط المحبّة هذا لأنّه مرتبط بالربّ يسوع نفسه.

وفي هذا الأحد الذي هو أحد السجود للصليب، نسجد لعود الصليب الذي رُفع عليه الربّ يسوع ليحلّ مكان العود الذي كان سبباً لعصياننا لله وفقداننا للفردوس الذي هو حالة اللقاء مع الله. «ان العدو في الفردوس قديماً عرّى آدم بواسطة العود وجلبَ الموت لأجل المذاقة، وأما عود الصليب فانغرس على الأرض آتياً للبشر بلباس الحياة واستوعب العالم بأسره كل فرح، فلنشاهده أيها الشعوب مسجوداً له ونصرخ لله بإيمان ونغمات مؤتلفة أن بيته مملوءٌ مجداً» (من صلاة السحر).

الصليب في الكتاب

تعيِّد كنيستنا المقدَّسة في الأحد الثالث من الصوم الكبير المقدَّس للسجود للصليب الكريم المحيي

تأمل

«ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلَّه وخسر نفسه».

أنظر كم من قلاعٍ وقصور ملوكٍ وحكّامٍ وزعماء هي متراكمة أنقاضاً! فكّر في القوة والغِنى اللذين كانا لديهم في ذلك الوقت! أما الآن فقد نُسيت أسماؤهم.

فكّر إذاً في ما ستكون قيمتك عندما ترقد؟ ألا يستطيع حيوان صغير جداً أن يقتلك؟ نعم، كثيرون ماتوا هكذا وهم نائمون. حقاً إن حياتنا معلّقة بخيطٍ رفيع! ينقطع وينتهي كل شيء.

فكر هكذا ولا تنخدع بالجمال والغِنى والمجد والملّذات، وليشغلك أمر واحد فقط: أين تنتهي كلّ هذه. أتتعجّب لكلّ ما ترى هنا على الأرض؟ إنّ ما يستحقّ الإعجاب هو ذلك المذكور في الكتب المقدسة.

دلّني على زعيمٍ كبير أو غني يلبس ثياباً فاخرة عندما تكويه الحمى ويصارع الموت، عندئذٍ سأسألك: «أين هو ذاك الذي كان يعبر السوق متباهياً ومتكبراً ومعه أتباع وحرّاس؟ أين هو ذاك الذي كان يلبس ثياباً باهظة الثمن؟ أين هي فخامة حياته، وترف ولائمه، وخدّامه، ومعاونوه، وضحكاته، ورخاء حياته،

الذي عُلِّق عليه ربُّنا يسوع المسيح ثم قام في اليوم الثالث منتصراً على الموت.

منذ القديم كان يُنظَرُ للصليب على أنّه أداة إجرام وتعذيب، يُعلَّق عليه مقترفو الذنوب لكي يكونوا عِبرةً لسواهم. أمَّا المسيح الذي عُلِّق عليه جَوْراً فقد حوَّل ألم الصليب وعاره إلى فرحٍ عظيم وبدَّل صورته من كونه مصدراً للموت إلى كونه ينبوعاً للحياة وعدم الموت: «هلمّ أيها المؤمنون نغترف لا من معين فائض مياهاً فاسدة بل من ينبوع الاستنارة بالسجود لصليب المسيح الذي به نفتخر» (من الأودية الثالثة لقانون الأحد الثالث من الصوم).

يلاحظ مَن يشترك دوماً في الصلوات الكنسيَّة أو يقرأ الكتب الليتورجيّة أنّ ذِكرَ الصليب الكريم لا يأتي منفرداً أبداً، أي لا بدَ لنا من أن نذكر القيامة المقدَّسة في كلّ مرّةٍ نذكر فيها الصَّلب، والعكس صحيح، أي لا بدّ من ذكر الصَّلب عندما نذكر القيامة، لأنّهما يكمّلان بعضهما بعضاً، فلا قيامة من دون صليب، ولا معنى للصليب من دون القيامة: «اليوم نهار السجود للصليب الكريم فهلمَّ نحوه كافّةً لأنَّه يقدِّمُ الآن إشراق فجر قيامة المسيح، فلنصافحه مبتهجين نفسانيًّا» (من الأودية الأولى)، «حطمت بصليبك الموت وفتحت للصّ الفردوس وحوّلت نوح حاملات الطيب وأمرت رسلك أن يكرزوا بأنّك قد قمت أيها المسيح الإله مانحاً العالم الرحمة العظمى» (طروباريّة آحاد اللحن السابع).

هذا الصليب الذي نكرّمه ونعظّمه سبق العهد القديم فصوَّره لنا من خلال عددٍ من الرموز التي لا نزال نستعملها في صلواتنا اليوميّة ونصوصنا الليتورجيّة. من أُولى هذه الرموز تسمية «عود الحياة» على مثال ما ندعو الصليب المقدّس في الكثير من الصلوات: «إنّ آدم بالعود تغرّب من الفردوس واللص بعود الصليب سكن الفردوس...» (عشيّة الخميس العظيم). نجد هذه الصورة ابتداءً من سفر التكوين (٢: ٩، ٣: ٢٢ و٤٤) وفي سِفر الأمثال (٣: ١٨، ١١: ٣٠، ١٣: ١٢، ١٥: ٤)، وكما كان ظهور عود الحياة في أوّل سِفر كتابيّ: سفر التكوين، يعود ليظهر مجدداً في السفر الأخير أي في سفر الرؤيا كرمز من رموز المدينة الخالدة (٢: ٧، ٢٢: ٢و١٤). إنّ عدم طاعة آدم وحواء لكلمة الرب جعلتهما يبتعدان عن عود الحياة، الأمر الذي يحصل معنا اليوم نحن المسيحيين الذين أُعطينا عود الحياة مجدَّداً بوساطة دم الإله المسفوك عليه، إلاّ أنّ البعض منَّا ينسى أنّ ثمن حياتنا كان دماً زكيًّا غالياً، وتالياً يظنّ بعضنا أنّه متى دعي مسيحيًّا أصبح منزَّهاً عن الخطأ كما بإمكانه أن يخلّص نفسه والآخرين، هذا النسيان يجعلنا نقع مجدداً في خطيئة الجَدَّين الأوّلين نفسها أي الكبرياء المؤدّي إلى عدم الطاعة فنحسب أنّنا أصبحنا «كالله عارفين الخير والشر» (تك ٣: ٥).

إنّ «عصا موسى» من الرموز الأخرى الدَّالّة إلى الصليب في الكتاب المقدَّس: «إنّ عصا موسى قديماً صنعت معجزةً لمّا ضربت البحر شكلَ صليب وشقَّته فغرَّقت

وبذخه؟»، كلّها ذهبت وتبخّرت. ماذا حدث للجسد الذي كان يستمتع بكلّ هذه اللذة؟ إقترب من القبر وانظر الغبار والنتانة والدود، أنظر وتنهّد بمرارة، ويا ليت المصيبة تتوقف عند الغبار الذي تراه. إنتقلْ من التفكير بالقبر إلى التفكير بدود الحياة الأخرى الذي لا ينام، وصرير الأسنان، والظلمة الأبدية، والنار التي لا تُطفأ، والعقابات المرة التي لا تُطاق والتي لا نهاية لها. هنا على الأرض يأتي وقت وتنتهي الأمور الحسنة والسيئة عاجلاً أم آجلاً؛ لكن الأمور هناك سوف تختلف عن الأمور هنا، ولا يمكن لأحد التعبير عن الأمر بالكلام.

إذاً، ماذا حدث لكلّ تلك العظمة؟ لماذا هذه النفقات على الجنازة التي لا تفيد الميت وتُثقل كاهل ذويه؟ لقد قام المسيح عرياناً من القبر. إذاً، يجب ألا تصير الجنازة سبباً لإشباع اهتمامنا بالمظاهر. أيّ جواب سنعطي الله إذاً عندما ننفق كمياتٍ هائلة لكي نشيّع جسداً مائتاً في اللحظة التي يجول فيها المسيح جائعاً وعرياناً بهيئة إخوتنا البشر الفقراء، ونحن لا نبالي بهذا؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

فرعون ومركباته...» (من قانون البراكليسي الكبير). هذه العصا التي شقّت البحر هي نفسها جعلت مياه «مارَّة» حلوةً وصالحة للشرب عندما عطش شعب الله ولم يجد ماءً (خر ١٥: ٢٢-٢٥). هذه صورة واضحة عن الراحة التي يمنحها الربّ لأحبَّائه بعد الألم. بمعنى آخر إنّها صورة للصليب والقيامة، حيث لا يمكننا أن نتذوّق حلاوة القيامة من دون المرور بألم الصليب، وهذا ما يأتي الصليب ليذكّرنا به في وسط الصوم الكبير المقدس.

أيضاً يُعطينا النبي موسى صورةً أخرى عن الصليب في سِفر العدد (٢١: ٨-٩) حيث يطلب منه الرب قائلاً: «إصنع لك حيّة محرقة وضعها على راية فكلّ من لُدِغَ ونظر إليها يحيا». فالحيّة التي وضع الله عداوة بينها وبين المرأة وبين نسليهما في البدء (تك ٣: ١٥) تعود لتظهر هنا راية خلاص للشعب. الأمر نفسه حصل من جهة الصليب حيث آلة الموت نفسها أصبحت ينبوعاً للحياة: «إنّ موسى وضع على عمود دواءً شافياً من لدغة المفسد النافث السمّ وَضعاَ عَرْضيًّا، فبرسم عود الصليب قَيَّد الثعبان المنساب على الحضيض ولاشى أذيّته علانيةً» (من الأودية الأولى لقانون عيد رفع الصليب». فالمسيح أباد مفعول الحيَّة بالحيَّة، أي وطئ الموت بالموت كما نقول في عيد القيامة البَهِج.

إنّ هذه الرّموز هي جزء قليل من مجموعة أكبر بكثير. إذا أردنا معرفة المزيد ما علينا إلاّ قراءة الكتاب المقدّس والمشاركة في الصلوات الليتورجيّة والبحث في التفاسير وهكذا نستطيع أن نسبر غور كنوزنا الإلهيّة الشريفة.

محاضرات

بمناسبة الصوم الأربعيني المبارك تدعو رعية نياح السيدة في رأس بيروت لحضور سلسلة المحاضرات التالية التي ستقام بعد صلاة النوم الكبرى عند الساعة السابعة من أيام:

+ الثلاثاء ٩ نيسان ٢٠١٣

«الحركة المسكونية والكنيسة الأرثوذكسية وأين نحن اليوم من وحدة الكنائس» للدكتور إيلي حلبي.

+ الثلاثاء ١٦ نيسان ٢٠١٣

«التألّه في فكر الكنيسة الأرثوذكسية» لقدس الشماس بورفيريوس جورجي.

+ الثلاثاء ٢٣ نيسان ٢٠١٣

«الأيقونة من خلال الطقوس» لقدس الأب ملحم حوراني.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb